والخفافيش تطير في كل ناحية غير انهُ لم يكن شيء على وجه البحيرة سوى بعض من البطّ كانت تذهب لتبيت بين القصب النابت على ضفة البحيرة

ولمَّا سئم الشيخ القديس من الانتظار اخذ يسأل نفسهُ عن عاقة الاب جرمانوس. ثم اطبق كتاب صلواتهِ قائلًا: ان هذا اليوم هو موعد قدومهِ فهل أُصيب يا ترى بنكبة في طريقهِ أو هل اضطرم غيظ مضطهديَّ عليهِ؟ ثم خرج متوكئًا على عصاهُ وسار بخطىً مرتجفةٍ اثقلها وقر السنين متوجهًا نحو الشاطئ فاقام يتطلَّع باسمان فما شاهد شيئًا فنادى فما كان غير السكوت جوابًا لندائهِ فأُفعم فؤادهُ حسرةً وغمًّا وصرخ قائلًا ربِّي وإلهي ماذا يرى؟ اني صابر بكليَّة قلبي على ما اقاسي من الآلام والاضطهادات التي صارت نصيبًا لي منذ سنوات ولكن اسألك ان لا تسمح بان يقاسيها غيري لاجلي

(ستأتي البقية)

نيل الآمال في الرحلة الى قطب الشمال

للاب لويس دي أنسلم اليسوعي مدرّس التاريخ في كليَّة القديس يوسف

كان اجدادنا يعدّون الرجل شديد البأس قويّ المراس. اذا ما باشر سفر خمسين ميلًا بعيدًا من مسقط الرأس. وكان الراحل اذ ذاك يقرئ الاحباب وداعًا. لم يكد يرجو من بعدهِ اجتماعًا. امَّا اليوم فقد تغيَّرت الاحوال. بتوفر وسائل الانتقال. واضحى السفر الى اقاصي المعمور من اسهل ما ينال. فكم نرى من رحَّالة يطوي البيد والصحار ويطوف البلاد والاقطار ويمخر غمار البحار فلا يقرُّ لهُ قرار حتى يرى رأي الابصار. ما جمعهُ الله في ارضهِ من العجائب وكمنهُ من الاسرار. واذا عاد الى الاوطان اسرع الى وصف رحلتهِ وتدوين ما جرى لهُ من الاخبار

هذا وقد كان بقي لآل عصرنا في بعض مجاهل افريقية ومفاوز اميركة وصرود آسية واقاصي اوقيانية بلاد لم يعرفها العلماء حتَّى العلم فقام رجال مقاديم صادمو القلب اشبات الجأش وتجشَّموا المخاطر وخاضوا غمرات الاهوال حتى فازوا بالآمال وعادوا غانمين وفتحوا لاخلافهم طرقًا نهجوها بعدهم فوقفوا على سرّ تلك البلاد وتبطَّنوا احوال قومها

ولمّا لم يبقَ لصناديد القوم بلدٌ لم ترسخ فيهِ قدمهم طمحوا بالابصار الى انحاء لم يسكنها ديّار ولا نافخ نار ألا وهي جهات قطبَي الارض شمالًا وجنوبًا. وانهُ لغنيٌّ عن البيان انَّ القطب المحوَر الوهمي الذي تدور حولهُ كرتنا دورًا تامًّا في كل اربع وعشرين ساعة. فطرفهُ المواجه للشمال يُدعى القطب الشمالي يقابلهُ من الجهة الجنوبيَّة القطب الجنوبي. امَّا الجهات التي تحدق بهذين القطبين فهي تُعرف بالاراضي او البحار القطبية وهي كلها مغطّاة بالجليد الكثيف لشدَّة بردها وقلَّة نصيبها من حرارة الشمس في قسم كبير من السنة. وليس الصيف فيها اقلّ خطرًا من الشتاء. لانَّ قطع الجليد الضخمة تتساقط من اعاليها او تدحرها الجداري البحريَّة فتصدم السفن التي تتجاسر وتبلغ تلك الجهات بعد الجهد الجهيد فتحطّمها او تحدق بها فتحبسها وتمنعها عن المسير. ولذلك لم يجسر احد قبل هذه السنين ان يخاطر بنفسهِ ويتهوَّر في هذه المهالك فضلًا عن ان تلك الانحاء لا نبات فيها يؤكل ولا حيوان يمكن صيدهُ اللهمَّ الّا بعض الاسماك تدفعها المياه فتصل اليها مكرهةً

والعلماء يقدّرون انَّ بين القطبَين مع شبههما في قرس البرد وكثرة الجليد فرقًا كبيرًا فيرتأون انَّ القطب الشمالي بحرٌ متجمّد تحدق بهِ سواحل اميركة وآسية. امَّا القطب الجنوبي فيرجّحون بعكس ذلك أنهُ برٌّ متجمّد تصدمهُ امواج البحار الجنوبية فتلقي على سواحلهِ قطع الجليد من كلّ صوب فتسوّرهُ بسور لا يتجاوز حدودهُ بشر

لكنَّ الانسان طُبع على الإقدام وهو يرى ان الارض كلّها ملكهُ فلا يحسن بهِ ان يدع منها قسمًا دون ان يسرّح فيهِ طارف نظرهِ فمن ثمَّ اراد ان يطرّح بنفسهِ ولا يتكص راجعًا حتى يفوز بالمرام. وفي هذه اللمعة الموجزة نبيّن مساعي هؤلاء المغاوير الذين ركبوا التهالك ليزوروا القطب الشمالي. امَّا القطب الجنوبي والاسفار اليهِ فنرجئهُ الى مرَّة أخرى ان شاء الله

وقبل ان نورد بالتلخيص تاريخ الرحلات الشمالية لا بدَّ ان نقدّم للقارئ لمحةً عن جغرافية البلاد المجاورة للقطب الشمالي المؤدّية اليهِ فنقول:

انَّ القطب الشمالي تكتنفهُ سواحل العالم القديم والعالم الجديد على مثال اكليل او حلقة لا تكاد ترى في اتصالها انفصامًا الّا من جهتين اعني جهة الاوقيانوس الباسيفيكي

حيث ترى بوغاز بيرنغ الفاصل اميركة وآسية وجهة الاوقيانوس الاتلنتيكي بين اميركة واوربة والفرضة بينهما اوسع

امَّا المسافة الواقعة في هذه الدائرة الكبرى فتشغلها البحار والجزائر القطبية التي لا يعرف منها الَّا شواطئها الجنوبية. منها ارخبيل السيتربرغ وزمبلة الجديدة وبرّ فرنتز جوزف وجزائر لياكور واورنجل (Wrangell) وارخبيل سيبرية الجديدة وفي شمالي اميركة ارخبيل پاري (Parry) وبرّ بافين وبرّ غرانت (Grant) وبوغاز داڤيس والغرونلند ذات الجبال الشامخة التي تعلو فوق سطح البحر نحو ٢٠٠٠ متر وعلى قمة هذه الجبال وجوانبها سطوح كثيرة من الجليد يمسّ البعض منها سواحل تلك البلاد ولا يتخلَّلها الَّا غابات قليلة من الشربين والسنديان في منعطف الوديان

فتلك هي البلاد الشماليَّة التي حاول ارباب الاسفار ان يبحثوا عن اسرارها المكنونة ولم يزالوا في تقدُّم متواصل حتى بلغوا اليوم العرض الواقع في الدوجة ٨٦ ونصف فلم يبقَ لهم لبلوغ القطب سوى ٤٠٠ كيلومتر بل اقلّ

وكان اهل اسوج ونروج منذ القرون الوسطى استولوا على اسندة والغرونلند واللبرادور فامتدَّت النصرانية الى تلك البلاد وقد سرّ في المشرق (٢ : ٢٨٧) انهُ كان اسافقة للغرونلند في القرن الثاني عشر. ولمَّا كانت سنة ١٤٩٧ اجتاز لاوَّل مرَّة الرحَّالة البندقي سبستيان كابوت (S. Cabot) بوغاز داڤيس. وفي القرن السادس عشر تمكَّن الاخوان الانكليزيَّان كورتريال ان يبلغا مدخل بحر هودسن ثمَّ تبعهما داڤيس فدقَّق البحث عن البوغاز المعروف باسمه. واكتشف في ذلك الوقت الهولنديّ بارنتس ارخبيل السيتربرغ وبلغ زمبلة الجديدة

وفي القرن السابع عشر استوطن اهل دنيمرك بلاد الغرونلند واكتشف هُدسون على البحر الذي سماهُ باسمه وكذلك بلغ بافين ترعة سميث (canal de Smith) في مدخل بحر بافين. وفي السنة ١٧٤٢ جعل اهلُ الثروة جزاء قدرهُ ٢٠٠٠٠ جنيه لمن يجد معبرًا بين اميركة والقطب الشمالي من جهة الشمال الغربي. فاشتهر حينئذٍ قومٌ من الرحَّالين كپاري وروس (Ross) ويوحنَّا فرنكلين فاكتشفوا الاكتشافات المهمَّة لكنهم لم يطلعوا على المجاز المذكور وقد بقي سرّ هذا المعبر مكتوماً الى سنة ١٨٥٣ فاكتشفهُ ماك كلور (Mac-Clure) وكلّت (Kellet)

فما عُرف خبر هذا الاكتشاف في اوربة حتى شمّر عن ساعد الجدّ قومٌ معروفون برباطة الجأش وجرأة المُقدَم كانغلفيلد (Inglefield) وكان (Kane) سنة ١٨٥٣ وهايس (Hayes) ١٨٦٠ وهال (Hall) ١٨٧١ ومارس (Mares) ١٨٧٥ واسرعوا قاصدين القطب الشمالي توًّا بينما كان الاسوجي نُردنسكيولد (Nordenskiold) يخترق لاول دفعة الممرّ الواقع بين سيبرية والقطب

لكنّ الذين برزوا بشدّة إقدامهم وبلغوا ما لم يبلغهُ غيرهم ثلاثة من كُماة الابطال

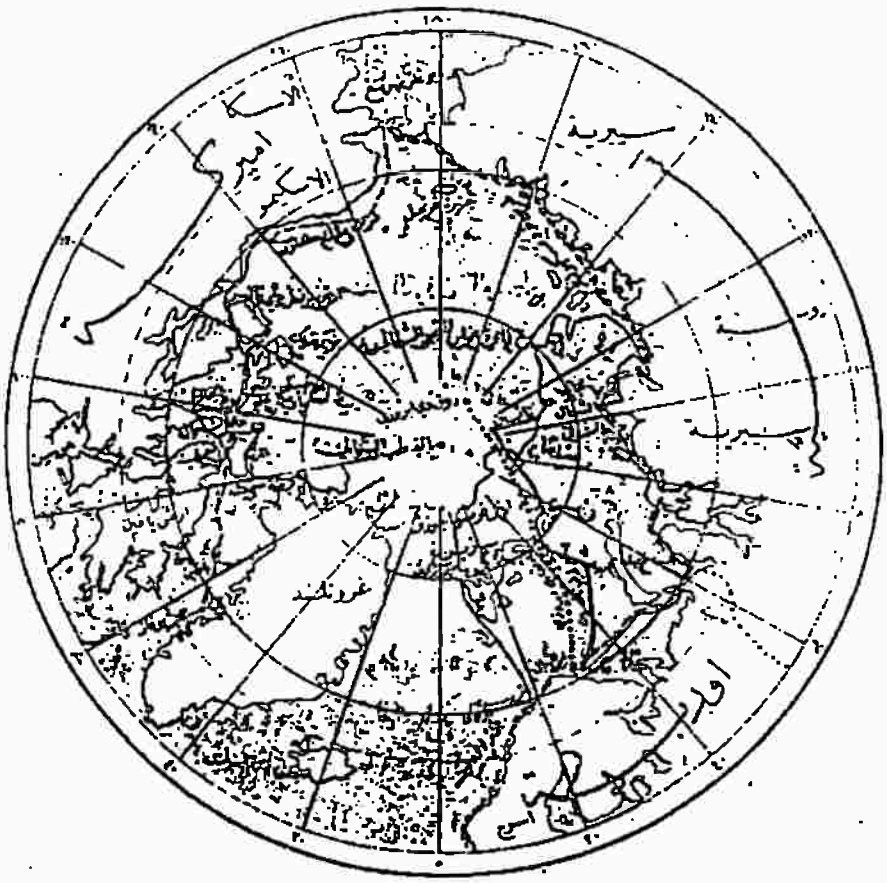

خارطة القطب الشمالي

اشتهروا في العشر الاخير من القرن المنصرم اعني الاسوجيَّين نانسن (سنة ١٨٩٣) واندره (١٨٩٦) ثمَّ الدوق دي ابروزة (١٩٠٠) احببنا ان نلخّص اخبار سفرهم ونبيّن غيرتهم على خدمة العلوم ورغبتهم في اكتساب السمعة الطيّبة

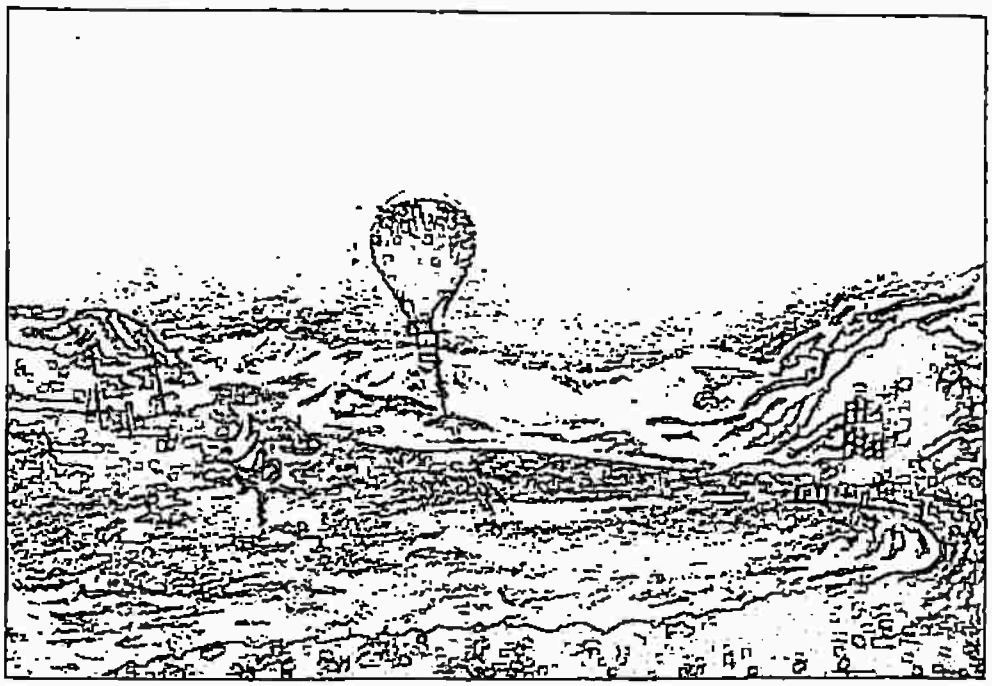

مركبة اندره الجوّيّة

أبحر نانسن على سفينة تدعى فرام (Fram) فساقها الى رأس الشمال وسار محاذيًا سواحل سيبرية حتى ادرك جزائر لياكور ومنها يمّم القطب على خط مستقيم فبقي سنتين لا يألو جهدهُ ولا يكفّ سعيهُ للفوز بالمرام. ولمَّا حبس الجليد مركبهُ وقلّ زادهُ ونفذت مؤونتهُ بريح ذاك البطل الهمام سفينتهُ في ١٤ من اذار سنة ١٨٩٥ بعد ان بلغت به الدرجة ٨٤ من العرض. ثمَّ اختار لهُ رفيقًا يشبههُ بسالةً وحزمًا يوهنسن ملازمهُ فركب كلاهما المزالق تقودها الكلاب ومعهم من الزاد ما يكفيهم ١٢٠ يومًا فساروا على الجليد سيرًا حثيثًا وكانت المصاعب تشتدُّ بقدر ما يجريان الى الامام. فبعد التيأ والتي قطعا بين جبال الجليد ٢٠٠ كيلومتر فادركا الدرجة ٨٦ والدقيقة ١٢ بحيث لم يبقَ

بينهما وبين القطب الشمالي سوى ٤٠٠ كيلومتر

وكانت عزيمتهم مع ذلك لم تضعف غير انَّ خَوَر القوى ونفوذ الزاد اضطرَّاهما الى الرجوع القهقرى فرجعا بعد شقّ النفس الى برّ فرنتس جوزف وقتئذٍ وجدا مركبًا اقلّهما الى رأس الشمال فما بلغاهُ حتى رأيا سفينتهما فرام وركّابها وكانت الرياح وقطع الجليد ساقتها الى برّ فرنتس جوزف وكانت بعثة الرحالة الانكليزي جكسن نازلة في تلك الجهات فلمَّا نظروا سفينة نانسن ساروا بها الى رأس الشمال حيث وجدها صاحبها بعد عودته

امَّا الاتعاب والهموم والمخاطر التي دهمت نانسن في مدَّة رحلته هذه فحدِّث عنها ولا حرج. فان البرد القارس اذاقهُ مرَّ العذاب. وكان انفرادهُ في هذه الفاوز المتجلدة وامتداد ظلمات ليل لا يقلّ طولهُ عن ستَّة اشهر وضروب السأم وقطعهُ الرجاء من وجود احياء يمدُّون اليهِ يد المساعدة كلُّ ذلك اكتنف بالهُ واضاق ذرعهُ لكنَّهُ تجلد لهذه الضيقات وقابلها بقلب اشدَّ من الصخر واعدَّ نفسهُ سعيدًا اذ اكتشف طريقًا جديدة للقطب الشمالي وهي طريق مجرى المياه وقطع الجليد الجارية بقوَّة الرياح وموقع هذه الطريق شماليَّ برّ فرنتس جوزف سائرةً من سيبرية الجديدة الى الفرونلند

ومِمَّا حدث لسفينة نانسن قبل ان يعود اليها الرحَّالة انَّ الرياح كانت جرت بها الى جزيرة الدنيمركيين ثمَّ احاطت بها قطع الجليد فحبستها ايامًا طويلة حتى كادت تتلفها. غير انَّ البحَّارين تمكنوا بعد شقّ النفس من فك اغلالها وسوقها الى شواطئ السترغ بقرب جزيرة الدنيمركيين. وبينما كانوا يخرون عُباب البحر اذا بسفينة كبيرة لاحت لهم عن بُعد يخفق فوقها علمُ وطنهم النروج فتقرَّبوا منها واذا هي السفينة فِرجو (Virgo) تقلُّ البعثة العلميَّة التي يترأسها المستار الشهير المهندس أندره الاسوجي وهو سائر الى القطب الشمالي ولكن على طريقة جديدة وهي طريقة الهواء اي راكبًا بركبة جويَّة. فتبادل اهل السفينتين عبارات الولاء وتجاذبوا الحديث مليًّا وشرب اندره نخب نانسن وتمنى لاصحابهِ ان يروهُ عمَّا قليل سالمًا ثمَّ سارت كلٌّ من السفينتين في طريقها

فلندعنَّ الآن نانسن وسفينتهُ ولنصرفنَّ النظر الى اندره وبعثتهِ. فانهُ بعد وداع اصحاب زميلهِ مال بركبهِ الى جهة الشمال وتوَّل عند الدرجة ٨٠ في جزيرة الدنيمركيين واوَّل ما باشر فعلهُ انهُ ابتنى لهُ سقيفةً راسمة جعل منطادهُ ضمنها ليجهزهُ ويعدهُ لصعود الجوّ. لكنَّ الانواء والرياح العاكسة التي ثارت تلك السنة حالت دون مرامهِ فاضطرَّ

الى تأجيل مشروعه الى العام التالي حيث واتت الرياح مرغوبة

فلما كان اليوم ١١ من تموز ١٨٩٧ في ضحى النهار حضر اندره ورفيقاه سترندبوغ (Strindberg) وفرنكل (Fraenkel) صلاة الأحد وبعد وداع مؤثر للبحارين واصحاب البعثة العلمية الذين رافقوهم الى جزيرة الدنيركيين ركب الثلاثة سفينتهم الهوائية فما استووا فيها جالسين حتى امر اندره البحارين ان يقطعوا حبال المركبة ففعلوا فتصاعد المنطاد في اعالي الجو الى وجهة القطب الشمالي

اما البحارون واهل البعثة فلما رأوا اصحابهم الثلاثة في الهواء رفعوا بعقيرتهم وسلموا على اولئك الابطال سلاماً اخيراً واسرع البعض ووجهوا الى صوبهم آلة التصوير واخذوا رسمهم (راجع الصفحة ٥١٧)

اما الكرة الهوائية فكانت تتهادى في الجو وتعلو شيئاً فشيئاً الى ان خطفها بُعدها عن عيان الناظرين وتوارت خلف الجبال . وكانت سرعتها في بدء صعودها ٣٥ كيلومتراً في الساعة بحيث لو سارت الى القطب دون تعاثق لادركته بعد يومين . . .

ألا انَّ الايام والاشهر والسنين قد مرّت مذ توارى منطاد اندره دون ان يُسمع لهُ ولرفيقيهما من خبر . . . فلا مراء انهم ذهبوا ضحايا حبهم للعلم والبحث عن مكنون خفايا الكون . ولعلّهم كانوا عادوا غانمين لو عرفوا قوانين مهبّ الرياح القطبية واختلاف وجهاتها ألا ان ذلك لا يزال سراً مكتوماً

وآخر من اشتهر في الرحلة الى القطب الشمالي ابن اخي همبرت ملك ايطالية السابق وابن عم الملك فيكتور عمانويل الثاني وهو المعروف بدوق دي ابروزي فان هذا الامير في مقتبل الشباب احبَّ ان يجاري نانسن واندره في شهرتهما فركب في منتصف حزيران من سنة ١٨٩٩ سفينةً تدعى « نجمة القطب » نقلتهُ ورجالهُ من مرفإ كريستيانيا عاصمة النروج الى جهات القطب . وكان قسّم بعثهُ الى ثلاثة اقسام جعل كلّ قسم في مركب وربط المراكب الثلاث ببعضها . فابحر الى مدينة اركنجل على سواحل روسيا ومنها الى جزيرة فرنتس جوزف وترك هناك قسماً من رجاله مع ما يحتاجون اليه من الزاد ثمّ واصل سيرهُ حتى بلغ بسفينته الى الدرجة ٨٢° ومعهُ ٩ رجال و ١٣ مزلقة و ١٦٠ كلباً

لكنَّ الجليد تقوّى عليها واتلف قسماً منها فاضطرَّ الدوق الى ان يبارحها ويخيّم

على الجليد زمناً طويلاً الى عيد الميلاد وكان في اثناء ذلك يبحث عن احوال تلك البلاد كبردها وحرارتها ورياحها وانوائها وقوّتها المغناطيسيّة وطبائع حيواناتها واسماكها ومجاري بحارها

ثمّ ركب المزالق مراراً واركبها رجالهُ فبعد المشاقّ والاخطار عاد ولم يبقَ معهُ الّا ثلاثة رجال و ٦٠ كلباً وكان قضى في تلك الجهات ١٠٤ أيام وكان تقدّم في مسيره الى الدرجة ٨٦ من العرض والدقيقة ٣٣ حتى لم يبقَ بينهُ وبين القطب سوى ٣٥٠ كيلومتراً بالتقريب فضاز بقصب السبق على نانسن الّا انّ يدهُ جلدت فاضطرّ الى ان يقطع منها اصبعين

وبينما نحن نكتب هذه الاسطر بلّغتنا المجلات العلميّة ان القبطان برنيار (Bernier) صمّم العزم على السفر الى القطب الشمالي على طوف من المطّاط (الكاوتشوك) ثمّ يركب مزالق تقودها ايايل الشمال (rennes) ونحن نتمنى ان هذه البعثة الجديدة تصيب المرمى ويعود رجالها سالمين يطلعون اخوانهم عمّا اودعتهُ يد الله في تلك المجاهل فيكون اكتشافهم سبباً جديداً يرقّي بالحاظ البشر نحو رب الطبيعة ويزيدهم حبّاً نحوهُ

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع لما سبق)

فنّ الطباعة في الشام (تابع)

٥ المطابع في لبنان (تتمّة)

٣ (المطبعة العثمانية) هذه قائمة الكتب التي نُشرت فيها منذ نشأتها على حسب تاريخها:

١ كتاب لسان فصن لبنان (١٨٩١. ص ٧٠) = ٢ الجزء الاول من البصائر النصيرية في المنطق (١٨٩١. ص ١٦٠) = ٣ كتاب انّة الرثاء (١٨٩١. ص ٥٠) = ٤ سمر العيون (١٨٩١. ص ٢٦٤) = ٥ شذور العقيان في تعريط جريدة لبنان (١٨٩٥. ص ٢٤٩) = ٦ المنهاج القويم وهو سلّم القراءة العربية. ثلاثة اجزاء (١٨٩١. ص ١٦٠) = ٧ التليد والطريف لجناب ابرهيم بك الاسود (١٨٩٢. ص ٥٥) = ٨ الكتابة بحث تاريخيّ ادبيّ للاديب عيسى اسكندر معلوف (١٨٩٥. ص ٨٤) = ٩ فلسفة الزواج لالياس افندي خليل توبي (١٨٩٥. ص ١٢١) = ١٠ لمعة في ترشيح الماء لنقيب افندي مسك (١٨٩٥. ص ١٦) = ١١ منهج